

تراجع أم مراجعة؟ (1 من 2)
عن "الكراهية" و "الكراهية"
خبرة شخصية حديثة !!

مقدمة:

يبدو أن المسألة تزداد صعوبة من واقع الممارسة

حمدت الله أنني أجلت النقاش إلى ما بعد إتاحة الفرصة للاستجابة لأكثر قدر من الألعاب، خاصة العشرين لعبة الخاصة بالحب، التي نعيد نشرها كملحق لنشرة الغد الجزء الثاني من المراجعة، لأنه لم يصلنا حتى الآن سوى خمسة مشاركات. كما ننشر بالإضافة اليوم العشر لعبات الجديدة عن الكراهية، كملحق خاص.

نأمل بعد كل ذلك أن نقر أننا بصدد "منهج مختلف" ليس بالضرورة أكثر مصداقية، أو أدق رسداً، وإنما ما وصلني حتى الآن هو أن هذا المنهج يكشف عن بعد "آخر" للظاهرة التي نسميها "العواطف" أو "الوجدان".

خبرة شخصية مرتت بها هذا الأسبوع، نبهتني إلى أن ثمة علاقة بين ما أحاول توصيله فيما يتعلق "بكلية المعرفة" و"نوعية الوجود"، وبين حدود المنهج الذي نحاول معاً استكشاف أبعاده

تزداد المسألة صعوبة، فعلاً، وهذا جيد، لكنه أمر يحتاج تحمل ومراجعة حتى تتضح الأمور بشكل مقبول، ولو نسبياً.

حين هممت أن أكتب نظرية عن العواطف (أو الانفعال. أو المشاعر. أو تطور الوجدان.. إلخ - لاحظ الترادف المزج) سنة 1974 تعجبت من، ثم أعجبت بـ سيجموند فرويد حين اكتشفت أنه لم يكتب نظرية مستقلة عن ما يسمى الوجدان (أو الانفعال أو العواطف..)، كما أن كارل يونج كاد يعتبر أن مجرد ظهور الانفعال مستقلاً هو في ذاته أمر غير طبيعي، فلم يفرد له ما يختص به. في أطروحة جان بول سارتر "نظرية في الانفعالات"، اختلطت المسائل - عندي- ولم تزدني نظريته إلا رفضاً للتنظير، فلماذا أحاول أنا التنظير بعد كل ذلك؟

رحت أقلب في كراساتى التى كُتبت بالقلم الجاف سنة 1974 الواحدة تلو الأخرى ووجدت اتساقا مهما، وتنظيرا يبدو منطقيًا، بدءًا بالرجوع للمعاجم العربية أساسًا، ثم انطلاقًا من التعريف المعجمى بالنسبة لكل عاطفة، ثم توقفت بعد أن كتبت أربعة كراريس بالتمام والكمال، ويبدو أنى كنت محققًا فى التوقف.

- هل يمكن أن أرجع سبب هذا التوقف إلى أنه فعلا موضوع لا تجوز الكتابة فيه أصلا؟
ربما .

لكن لو أننا تخلينا عن مسئولية المحاولة، فعلينا أن نرضى بالمناهج القائمة، مهما بدت قاصرة أو مغلّنة .

من أولويات هذه النشرة، ومن قبلها مجلة "الإنسان والتطور"، أن نجتهد فى "نقد النص البشرى"، بمعنى النقد الأشمل، بما يشمل الاشتراك فى إعادة إبداعه، ومن أهم التجليات الواجب نقدها ما شاع عن النص البشرى فيما يتعلق بما يسمى العواطف أو الوجدان فى كل من المرض والصحة؟ يكفى ما شاع عن الدعوة لترك القلق، والتنكر للعدوان، ووصم "الحزن" (برغم حتميته الرائعة اللازمة لإعلان صعوبة العلاقة بالآخر فى وعى الطرفين، مع الحركة المستمرة) ووصمه "بالاكتئاب" بالمعنى السلبي، ثم الكلام عن ذكاء العواطف بتوجيهها للاستعمال من الظاهر للتواصل الدمث والتشكل، كل هذا ومثله يتجه بنا إلى مزيد من الاختزال أو التجزئ، أو التسطيح فيما نحن بصدده محاولة سر غوره .

إذن: لا مفر من التجريب

ولا مهرب من أن نضع نتائج التجريب - فى حدود منهجها - فى إطار التنظير الممكن مرحليا مع الاستعداد للتراجع والمراجعة باستمرار .

خبرة شخصية

حين أعدت قراءة الفرض (يومية 16-7-2008) الذى قدمته مترددا ليغضى بعض جوانب القضية المطروحة، رحى ، بدون قصد أطبق بعض ما طرّح من افتراضات نبعت من الاستجابة للألعاب، وخصوصا استجاباتى شخصيا على مرتين (يومية 24-6-2008) ، ووجدتى عاجزا عن تصديقها، رحى أتعجب من نفسى وأنا أتساءل مثلا:

○ هل كان ادعائى السابق أننى غير قادر على كره أى أحد بالمعنى الشائع، هل كان هذا الادعاء كذبا على نفسى طول هذا العمر؟

○ إذا كان الأمر كذلك، فهل ما أظهرته اللعبة (ربما رغما عنى كما اعترفت د. أميمة رفعت وآخرون) هو مجرد لعب استدرجنا إليه دون قصد؟

○ وإذا كان الكره طبيعة بشرية كما زعم الفرض، فلماذا لا نرصده في الأطفال بشكل واضح، يتناسب مع كونهم أقرب إلى الطبيعة البشرية (لم يتشوهوا بعد بقدر كاف)؟

هذا التساؤل كان يخطر لي وأنا أعب مع أحفادي في البحر، وليس فقط على شاطئه، خاصة وأن البحر، وليس شاطئه هو أقرب إلى الطبيعة البشرية، أليس كذلك؟ واستسمحكم أن أوّجّل الحديث في هذه الخيرة (إلى نشرة الغد)

○ وأخيراً: هل يمكن بدورنا، لو أن الكره طبيعة بشرية جداً، أن نكره الأطفال؟

وأئلة أخرى كثيرة جعلتني أفتح الباب مرحباً بكل رأى ونقد بدءاً بنفسى

ثم على أن أعترف بأنه قد طال التأجيل لعرض الآراء التى وصلتني، وأن أقرّ أنى أتمادى فى رفض التعليق والمناقشة حالياً، مع أن كثيراً من الآراء التى وصلتني مفيدة وحاسمة، لكن يبدو أن المنهج لم يتضح بدرجة كافية لأغلب من شارك بالنقد والرأى، خصوصاً لمن لم يمارسه بنفسه المرة تلو الأخرى، كما يبدو أن هذا المنهج، "**الكشف باللعب**" له مستويات مختلفة أشرت إلى أغلبها سابقاً لكننى أعيد التنبيه إليها وغيرها للأهمية:

المستوى الأول: الاستجابة الشفاهية المباشرة، دون أدنى معرفة مسبقة بنص الألعاب واحدة واحدة

المستوى الثانى: الاستجابة الكتابية السريعة المباشرة أيضاً (باللهجة العامية كل حسب موطنه، شكراً للدكتور جمال التركى) حتى لو تمت قراءة نص الألعاب العشرة قبل الاستجابة الكتابية، لكن الشرط فى هذا المستوى لايزال أن تكون الإجابة سريعة ما أمكن ذلك (بأقل قدر من التفكير الوصى)

المستوى الثالث: الإجابة يتمعن ليس فقط فيما سوف نجيب به، وإنما فيما يتعلق بصياغة السؤال بما يشمل الاعتراض على الصياغة نفسها ونقدها، وربما اقتراح بديل لها (ومثل هذه الإجابات غير صالحة للجمع على سائر الإجابات السريعة التلقائية، مهما كان فيها من نقد صحيح ومفيد، فهى تنتمى إلى منهج آخر، لغرض آخر)

المستوى الرابع: الإجابة بالفصحى (وقد تناولنا ذلك من قبل من حيث تفضيل العامية، أما مغزى الفرق بين الإجابة بالفصحى والإجابة باللهجة المحلية فله عودة لاحقاً)

المستوى الخامس: الإجابة على نفس الألعاب بعد فترة زمنية معينة (وصلت إلى أربع سنوات فى عرض خبرتى الخاصة فى يومية 2008-6-24)

المستوى السادس: الإجابة المطولة كالمقال، التى تتناول نص اللعبة"، وكأنه عنوان لمقال يمكن تصور محتواه، ثم مناقشته والرد عليه، وتعربة أغراضه، .. إلخ

المستوى السابع: التراجع عن أى من الاستجابات المبدئية التي تمت على أى مستوى معين، لصالح مستوى آخر مما ذكر، أو مما لم يذكر، أو إنكار ما تم خروجه تلقائياً تماماً، وكأنه كان خطأ عن غير قصد! أو خرج بالمصادفة، ثم تعديله، أو الانطلاق منه، أو قبوله وقبول الاعتراض عليه في نفس الوقت، فيخرج جديداً، أو على الأقل يُعدُّ بجديدٍ ما.

بالله عليكم هل رأيتم أصعب من هذا المنهج؟

نعم، ما أصعب كل ذلك مقارنة بما يمكن أن يمارسه أى منا (كما اعتدت أن أفعل أنا أيضاً ربما إلا قليلاً بفضل مرضى)

نحن - عادة - نعلن موقفنا أو معرفتنا عن أى ظاهرة كانت إما من (1) واقع ما قرأنا (أو عرفنا من أى مصدر)، أو من (2) واقع ما عايشنا وخبرنا، وخاصة إذا كان ذلك بوعى يقظ متعلم. إن كلا المصدرين: **الإطلاع والخبرة** هما من أهم مصادر معرفتنا، وقد يتعارضان، وقد يتكاملان، ولا يمكن الاستغناء عن المصدر الأول (الذى يظهر في الاستشهادات، والمقتطفات، والمراجع عادة)، ولا عن المصدر الثانى الذى تعتمد مصداقيته على درجة نضج صاحبه وعمق خبرته وموضوعية ذاته، وقدرته على التعبير عن معيشتاته، ومع ذلك فيبدو أننا نحتاج إضافة جديدة من منهج جديد.

احترام كل المناهج والمستويات

ومع كل احترامنا لكل المناهج والمصادر والخبرات والمعارف، دعونا ننظر في هذا المنهج الصعب الخالى في حدود إمكانياتنا وإمكانياته

ومن بين إمكانياته وصعوباته تعدد مستويات قراءته، (نقده) بقدر تعدد مستويات الأداء (السبعة التى ذكرناها وقد تزيد)!!!

أقر وأعترف أن كل المستويات تهمنى دون استثناء، وينبغى أخذها في الاعتبار إذا أردنا أن نصل إلى ما يزيد الأمر وضوحاً وفائدة.

ولكن دعونا نبدأ بمنهجنا التجريبي الخالى، ليس ذلك لأنه الأفضل، لكنه لأنه المنهج التجريبي الخالى!

خذ مثلاً يومية اليوم، والتي يمكن إدراجها تحت المستوى السابع إلا قليلاً، (مستوى: التراجع عن أى من الاستجابات المبدئية التى تمت.. إلخ).

الجزء الأول: عن "الكراهة" و "الكراهية"

خبرة شخصية حديثة

كرة آخر

..... كان الوالد يجلس أمامى في صمت، وابنه يجلس في الكرسي المقابل، ليس متهيجاً بمعنى التهيج

المرضى المزعج أو المنذر، ومعهما عمه يجلس على الأريكة المسنودة للحائط، وهو يتكلم بهدوء يصف حالة ابن أخيه نيابة عن الوالد، والولد يرد بشكل مناسب نسيباً ضد انطباعي الأول حين دخوله، حيث قدّرت أنه في حالة اضطراب شديد .

فجأة، وبدون أية إشارة أو داع أو تدخل من الوالد، رفع الولد (عمره حوالي 22 سنة) ذراعه اليميني أعلى ما يستطيع وهوى به في لمح البصر على صدغ الوالد الأيسر الجالس قبالة، نكس الوالد (56 سنة) رأسه وانسابت دموعه في صمته، (سوف أحكى ما جرى لي حالا- انتظر لو سمحت). أخرج الوالد بطاقة باسمه (كارت شخصي)، وقدمه لي عبر المكتب، والدموع في عينيه، دون أن ينطق، قرأت فيه وظيفته المهمة، وعنوانه وهوائفه الكثيرة.

أنا أمارس هذه المهنة منذ نصف قرن وعام، رأيت مرضى في أشجع حالاتهم، من أول القتل حتى المضاجعين للمحرمات الصغيرات، والمنتهكين الأطفال والبنات العذارى، مروراً بكل أنواع الإدمان والنصب والانحراف، أكاد أجزم أن شعور الكراهية الذي اعتراني لرؤيتي هذا الحدث، بعد نصف القرن هذا، لم أمر به من قبل

(هل لذلك الوعي الحاد علاقة بفتح ملف الكراهية الآن هكذا؟ لست أدري!!).

كرهت الشاب كرهاً لا مثيل له!

لم أتحرّك، ولم أعلق بكلام محدد فيه زجر أو رفض، واستمر الفحص حتى اطمأنت إلى أن هذا الشاب مريض يحتاج دخول المستشفى - لأسباب إضافية موضوعية- خوفاً عليه وعلى ذويه، ولم يشفع له ذلك -عندى في داخل داخلي- أن يبرر لي ما فعله، وبالتالي لم يغير من الكراهية التي غمرتني تجاهه (مع أنني أنا الذي قررت مدى شدة مرضه التي ألزمت دخوله المستشفى).

في صباح اليوم التالي، عُرض علىّ هذا الشاب في المستشفى مع كل الزملاء، من هيئة المعالجين، ولم أجد مشاعري قد تغيرت، مع أن الموقف المرضي الذي انتهينا إليه يمكن أن يبرر تصرفه من حيث التقييم التقليدي (غير مسئول ويعفى من العقاب!!) لكن ماذا أفعل في مشاعري هذه، وهي ليست المناطة بكتابة تقرير رسمي (طب نفسي شرعي) تحدد مسئوليته، نحن نكتب تقرير الطب النفسي الشرعي من واقع الوقائع والمستندات والتقييم الموضوعي الظاهر، وليس من واقع مشاعرنا وأحوالنا الخاصة. قد اضطرت أن أكتب أن هذا الشاب غير مسئول قانوناً لو وصل الأمر إلى تشكيل الواقعة بشكل قانوني يتطلب مثل هذه الشهادة، لكن تلك المشاعر التي غمرتني تعلن أنه "مسئول ونصف"، مهما كتبت في التقرير (الصعوبات تزداد!! رأيت كيف؟)

حين غمرتني كل هذه الكراهية، تذكرت بداية فتحنا هذا

الملف هنا إثر ما أعلنته د. أميمة رفعت عن شعورها بالكراهية نحو مريضتها، ثم تذكرت أول أمس وأنا أرد على د. منير شكر الله تساؤله عن موقف الطب النفسى الشرعى من مريضته التى طاحت فى أهلها سبابا وتعديا ، ثم أفرت له أنها عملت ذلك بقصد وترصد، (يومية 13-7-2008) "حييت أعمل لهم كارت إرهاب" ولما سألتها إرهابهم بماذا؟ أجابت بما معناه: **عشان يخافوا ويمشوا.**

بعد كل ذلك، ما زالت مشاعر الكراهية تغمرنى كلما عاودنى منظر الشاب وهو يصفع والده، نعم الكراهية بلا زيادة ولا نقصان، كراهية ليس لها أدنى علاقة بمسئوليته القانونية، ولا بما طرحنا من أبعاد ومناقشات أثناء إجراء العب الكراهية.

هل هذه هى الكراهية التى نزعم أنها تغلف الحب، وأنها الخلفية التى تجعل الحب أكثر موضوعية، وأنها ليست إلا الوعى البشرى بغريزة العدوان التى هى -أساسا- برنامج بقاى منغرس فى تركيب البشر بالضرورة؟

طبعاً لا

إذن ماذا؟

الكراهية التى ملأتنى، والتى مازلت أشعر بها حتى هذه اللحظة هى غير كل ذلك،

ماذا هى إذن، مقارنة بحق الكره الذى ظهر فى ألعاب الكراهية؟

وكيف سأعالج هذا الشاب، (وأنا أقبض نقوداً مقابل ذلك؟ مقارنة بالدكتورة أميمة والدكتور منير !!) كيف سأعالجه وأنا أحمل له كل هذه المشاعر التى كادت تصل إلى وعيى كأنها القتل ذاته (أنا لم أجد طول عمري مبرراً موضوعياً لقتل أى إنسان أياً كان حتى الآن، حتى فى الحروب اللهم إلا...؟)

راجعت كل خبرتى، أو عادت لى كل خبرتى، حتى ردى على د. أميمة الذى فتحت لنا هذا الملف الصعب هكذا، وحضرتنى ردود كثيرة مفيدة ، علمية وخبرائية ، طمأننتى إلى احتمال نجاحى فى القيام بواجبى برغم كل ما اعترانى هكذا، وحتى الآن. ومع ذلك ما زلت على يقين مما يلى :

1. **إن الكراهية التى غمرتني هكذا، هى ليست الكراهية التى تجلت وتجلي لنا من خلال منهج الألعاب الذى نحاول أن نكشف من خلاله أبعادنا الأخرى.**

2. **إن الكراهية التى غمرتني هكذا، هى منفصلة تماماً عن كلية وجودى المسئول معالجا وإنسانا، مهما كانت مبرراتها من التعاطف مع الوالد المصفوع**

3. **إن الكراهية التى غمرتني هكذا، هى الخطوة الأولى، وليست الأخيرة فى سلسلة من العواطف والقرارات التى قد تساعدنى على القيام بواجبى**

4. إن الكراهية التي غمرتني هكذا، لو لم تلحقها تلك "الكلية" التي أشرت إليها في بند "3" هي القتل الإبادة العدم، (مرة أخرى، ومي غير الكراهية التي تكشفها معظم الألعاب)

5. إن الكراهية التي غمرتني هكذا، هي كراهية انعكاسية ردا على موقف معين، فهي منفصلة عن الوعي البشرى الكلي الخاص بوجودي، مهما كانت تبدو أخلاقية مُبَرَّرَة بعقوق ابن لا يعفيه جنونه من مسؤوليته الأعمق.

وأنا أكتب الآن، جاءتني بعض آليات ترويض هذه الكراهية البشعة، لتصبح - ربما - أقرب إلى الكره الذي يكشفه منهج الألعاب (وليس إلى الكراهية التي وصفتها حالا) ، ومن ذلك :

أولاً: إن هذا الشاب قد كره والده بنفس نوع هذه الكراهية، ولا بد أن أشهر في وجهه نفس السلاح كخطوة أولى (مثلما نبرر تبرير الحروب -والقتل- بأنها ليست إلا دفاعا عن النفس)

ثانياً: يبدو أنني لم أكره الشاب بقدر ما كرهت الصفعة، ومع ذلك فلا أنكر أنني، وإلى أن شاهدته في المرور صباح اليوم التالي مع زملاء ، وإلى درجة أقل قليلا، وإلى الآن، لم أميز بين الشاب وبين الصفعة، وأنا أحاول أن أوصل محاولة عدم التمييز بين الجزء والكل، حتى لا أستسلم للمقولة التي نقدتها فيما سبق، والتي تقول : "أحب الناس وكره طبعهم"، باعتبار أنها ومثلها هي بداية التجزئ الذي أرفضه إلا مرحليا.

ثالثاً: إن الكراهية عن بعد، يمكن أن تستمر باعتبار أن المكروه (أو بقية "كل" المكروه) لم يعد في متناول وعي الكاره، فلو أن هذا الشاب لم يدخل المستشفى، ولم أضح مسئولا عن علاجه، فلربما استمر شعوري هذا كما هو مدى الحياة، (وهو نفس شعوري نحو بوش وشارون، والحمد لله أنه لا فرصة للاقترب منهما أو علاج أيهما، فهما لا يستحقان أن يحصلوا على صك المرض أصلاً مهما وُصفوا بذلك، ولهذا تفصيل آخر)

رابعاً: إنني لو نحت أن تكون هذه الكراهية هي مجرد بداية (وهذا ما أتبينه في هذه اللحظة وأنا أكتب، وليس قبل ذلك)، فقد اقترب بشكل أو بآخر، مهما بلغ حجم الجهد المبذول، من الكره الذي يكشفه منهج الألعاب، ومن ثم تبدأ مسؤولية العلاقة الأخرى، ومن ثم العلاج... إلخ

من هذه الخبرة بهذا التدرج أمكنني أن أطور هذه الجزئية من فرض الكراهية، بأن أميز - حتى تعسفا - بين الكره والكراهية (كما ميزوا بين العدوان والعدوانية، مما سأرجع إليه في حينه) أميز بينهما دون خشية نقد من موقف ساكن، فأنا مضطر كما هو واضح ، فثم عاطفتين تكادان تقعان على طرفي نقيض، وفي نفس الوقت نزع أنهما واحد ، ونطلق عليهما نفس اللفظ.

ثم إنى سبق أن أشرت مرارا إلى إسهامات علم الضحايا victimology في فهم العلاقة المتكاملة بين الجاني والجنى عليه؟

أكتشف الآن أن في هذا التنبيه من هذه الصديقة بعض ما أعانني على حمل مسئولية هذا المريض ووالده برغم كل تلك المشاعر السالفة الذكر

متى تُعلنُ المراجعة، ومتى نراجع التراجع؟

لست متأكدا ما هو الوقت الأنسب:

أن أنشر مراجعاتي، وتراجعاتي أولا بأول؟

أم أن أنتظر حتى ننتهي من نشر الاستجابات للألعاب، وفحصها؟

أو حتى أن ننتظر لما بعد المناقشات؟

ما رأيكم؟

مبدئيا أذكر الأصدقاء أنني في **يومية 16-7-2008** كنت قد استبعدت الأسوياء كمصدر أساسي لفحص هذه الفروض، ثم هأنذا أكتشف الآن أنه خطأ جسيم

خذ مثلا مراجعة هذا الزعم حين ندعى أن الأسوياء ليسوا عينة مناسبة لفحص هذه المسألة هكذا:

○ أليس كل أو أغلب الذين شاركوا في الألعاب هم من الأسوياء؟

○ أليست هذه الخبرة الشخصية التي كتبت عنها حالا (وسوف أكملها غدا) هي خبرة أحد الأسوياء في الغالب: (طبيبا اليوم، وجدا غدا؟)

وغداً نكمل:

الملحق:

ألعاب جديدة عن الكراهية مستوحاة من لعبة: "يمكن لما اعرف أكرهك...."

التي جرت أساسا في العلاج الجمعي **يومية 10-6-2008**

1) أنا لو سبت نفسي تكره على راحتها يمكن

2) الكره طبيعة بشرية إنما أنا بقى.....

3) أنا خايف أفتش في منطقة الكره دى أحسن ألقى نفسي.....

4) لا .. لا ... ! الطيب أحسن، كره إيه وبتاع إيه، .. دانا.....

5) أنا لو أحب حد بصحيح يمكن أسمح لنفسي أكره على شرط.....

- (6) هَيْهَ تَلصِيمةَ وَلَا إِيه؟! باحب آه، لكن بصراحة أقدر برضه أكره لدرجة انى.....
- (7) أنا أحسن لى أصدّق إنى ما باكرهشى حد .. ما هو أصلى يعنى
- (8) وإيه يعنى لَمَّا أكره، ما أنا برضه.....
- (9) أنا مش قد الكره إالى جَوَايا، وعشان كده
- (10) ياترى أنا مش عارف أكره، ولا خايف أكره؟
الظاهر إنى.....
- وغدا نعيد نشر العشرين لعبة الخاصة بالحب مرة ثانية،
حيث نشرة الغد المكملة هي "عن الحب وتشكيلاته وتجلياته"،
خبرة شخصية أيضا كما ذكرنا.

- جان بول سارتر (1960) "نظرية في الانفعالات". (ترجمة:
سامى محمود على - عبد السلام القفاش). القاهرة: دار
المعارف بمصر.